اجتهادات
الملعبُ والمسرح

لم يكن سياسيون ومثقفون يساريون وحدهم الذين أساءوا فهم كرة القدم، وعجزوا عن إدراك مدى تأثيرها فى الشعوب التى دافعوا عن حقوقها. علماء اجتماعٍ كبارُ أيضًا شاركوهم هذا العجز عن إدراك ظاهرة اجتماعية وثقافية فريدةٍ. ومن بينهم على سبيل المثال عالم الاجتماع الفرنسى الكبير بيار بورديو الذى لم يكتف بالاستهانة برياضةٍ كان معظمُ الفرنسيين وغيرهم يعرفون الكثير من لاعبيها، فى الوقت الذى قل من عرفوه. فقد هزأ من أساتذةٍ وزملاء أسسوا علم الاجتماع الرياضى، وادعى أن البحث فى هذا المجال يفتقدُ ما سماها «شرعية أكاديمية»، لصعوبة دراستها علميًا.

هكذا علَّق د. ناجى سعود الأستاذ بجامعة مونبيليه على اجتهاد 7 يناير الحالى (أفيون الشعوب)، مجادلاً بأن عدم إدراك الأبعاد الاجتماعية والثقافية لكرة القدم كان شائعًا حتى قرب آخر القرن الماضى، وأن من فهموا أهميتها مبكرًا كانوا قليلاً، وأن كتابات من درسوها لم تحظ بانتشار يُذكر.

وهذا تقديرُ صحيح فى مجمله، ولكنه لا يُعفى سياسيين ومثقفين وعلماء اجتماع من المسئولية عن عدم معرفتهم، أو عزوفهم عن المعرفة، وتجاهلهم ما قاله أو كتبه من فهموا قيمة كرة القدم مبكرًا، ولابد أنهم اطلعوا عليه أو سمعوا عنه. فهل يمكن، على سبيل المثال فقط، تصور أنهم كلهم لم يعلموا شيئًا عن تقدير كاتب وفنان عظيم بحجم ألبير كامو لهذه اللعبة التى أوضح أهميتها وأثرها، بل قال إن المبادئ التى يؤمن بها

تعلمها فى ملاعبها وعلى خشبات المسارح. ولتقدير كامو هذا أهميةُ خاصة جدًا، لأنه لعب كرة القدم فى صباه حين انضم إلى فريق نادى راسينج خلال دراسته فى جامعة الجزائر إلى أن أُصيب بمرض السُل، فتوقف عن اللعب. وهو أيضًا أحد كبارُ الكُتاب المسرحيين، ومن أبرز أعلام موجة التمرد التى عُرفت بالعبث أو اللامعقول, وكانت رد فعل على ويلات الحرب العالمية الأولى.

ويثيرُ حديث كامو عن أن كرة القدم والمسرح هما المدرستان اللتان ألهمتاه مبادئه التساؤل عما يمكنُ أن يجمعهما، رغم المسافة التى قد تبدو بعيدةً بينهما. سؤالُ يُحثُ على التفكير فيه، ونعودُ إليه فى وقتٍ لاحق.